وذم في شان الاميين يعنون الذين ليسوا من اهل الكتاب وما فعلنا بهم من حبس اموالهم والاضرار بهم لانهم ليسوا
على ديننا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم ويقولون لم يجعل لهم في كتابنا حرمة وقيل بايع اليهود رجالا من قريش
فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا ليس علينا حق حيث تركتم دينكم وادعوا انهم وجدوا ذلك في كتابهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر
وعن ابن عباس انه ساله رجل فقال انا نصيب في الغزو اموال اهل الذمة الدجاجة والشاة قال فتقولون ماذا قال
نقول ليس علينا في ذلك باس قال هذا كما قال اهل الكتاب ليس علينا في الاميين سبيل انهم اذا ادوا الجزية لم تحل
لكم اموالهم الا بطيبة انفسهم **ويقولون على الله الكذب** بادعائهم ان ذلك في كتابهم **وهم يعلمون** انهم كاذبون **بلى**
اثبات لما نفوه من السبيل عليهم في الاميين اي بلى عليهم سبيل فيهم وقوله **من اوفى بعهده** جملة مستانفة مقررة
للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير في بعهده راجع الى من اوفى على ان كل من اوفى بما عاهد عليه الله واتقى الله في ترك
الخيانة والغدر فان الله يحبه فان قلت فهذا عام يخيل انه لو وفى اهل الكتاب بعهودهم وتركوا الخيانة لكسبوا
محبة الله قلت اجل لانهم اذا وفوا بالعهود وفوا اول شيء بالعهد الاعظم وهو ما اخذ عليهم في كتابهم من الايمان برسول
مصدق لما معهم ولو اتقوا الله في ترك الخيانة لاتقوه في ترك الكذب على الله وتحريف كلمه ويجوز ان يرجع الضمير الى الله تعالى
على ان كل من اوفى بعهد الله واتقاه فان الله يحبه ويدخل في ذلك الايمان وغيره من الصالحات وما وجب اتقاؤه من
الكفر واعمال السوء فان قلت فاين الضمير الراجع من الجزاء الى من قلت عموم المتقين قام مقام رجوع الضمير
وعن ابن عباس نزلت في عبد الله بن سلام وبحيرا الراهب ونظرائهما من مسلمة اهل الكتاب **يشترون**
يستبدلون **بعهد الله** بما عاهدوا عليه من الايمان بالرسول المصدق لما معهم **وايمانهم** وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن
به ولننصرنه **ثمنا قليلا** متاع الدنيا من الترؤس والارتشاء ونحو ذلك وقيل نزلت في ابي رافع ولبابة بن ابي
الحقيق وحيي بن اخطب حرفوا التوراة وبدلوا صفة رسول الله واخذوا الرشوة على ذلك وقيل جاءت جماعة من
اليهود الى كعب بن الاشرف في سنة اصابتهم ممتارين فقال لهم هل تعلمون ان هذا الرجل رسول الله قالوا نعم
قال قد هممت ان اميركم واكسوكم فحرمكم الله خيرا كثيرا فقالوا لعله شبه علينا فرويدا حتى نلقاه فانطلقوا فكتبوا صفة
غير صفته ثم رجعوا اليه وقالوا قد غلطنا وليس هو بالنعت الذي نعت لنا ففرح ومارهم وعن الاشعث بن قيس نزلت في
كانت بيني وبين رجل خصومة في بئر فاختصمنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال شاهداك او يمينه فقلت اذا يحلف
ولا يبالي فقال من حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان وقيل نزلت في رجل اقام سلعة
في السوق فحلف لقد اعطي بها ما لم يعطه والوجه ان نزولها في اهل الكتاب وقوله بعهد الله يقوي رجوع الضمير في
بعهده الى الله **ولا ينظر اليهم** مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم تقول فلان لا ينظر الى فلان تريد نفي اعتداده به
واحسانه اليه **ولا يزكيهم** ولا يثني عليهم فان قلت اي فرق بين استعماله فيمن يجوز عليه النظر وفيمن لا يجوز عليه
قلت اصله فيمن يجوز عليه النظر الكناية لان من اعتد بالانسان التفت اليه واعاره نظر عينيه ثم كثر حتى صار
عبارة عن الاعتداد والاحسان وان لم يكن ثم نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجردا لمعنى الاحسان مجازا عما وقع كناية
عنه فيمن يجوز عليه النظر **وان منهم لفريقا** هم كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وحيي بن اخطب وغيرهم **يلوون السنتهم بالكتاب**
يفتلونها بقراءته عن الصحيح الى المحرف وقرأ اهل المدينة يلوون بالتشديد كقوله لووا رؤوسهم وعن مجاهد وابن
كثير يلون ووجهه انهما قلبا الواو المضمومة همزة ثم خففوها بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها فان قلت الام
يرجع الضمير في لتحسبوه قلت الى ما دل عليه ذلك وهو المحرف من الكتاب وقرئ ليحسبوه بالياء بمعنى يفعلون ذلك
ليحسبه المسلمون من الكتاب **ويقولون هو من عند الله** تاكيد لقوله وما هو من الكتاب وزيادة تشنيع عليهم وتسجيل

بالكذب

بالكذب ودلالة على انهم لا يعرضون ولا يورون وانما يصرحون بانه في التوراة هكذا وقد انزله الله على موسى كذلك لفرط
جراتهم على الله وقساوة قلوبهم وياسهم من الاخرة وعن ابن عباس هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الاشرف غيروا التوراة
وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذت قريظة ما كتبوه فخلطوه بالكتاب الذي عندهم **ما
كان لبشر** تكذيب لمن اعتقد عبادة عيسى وقيل ان ابا رافع القرظي والسيد من نصارى نجران قالا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم تريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نعبد غير الله او ان نامر بعبادة غير
الله فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا
نسجد لك قال لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله **والحكم** والحكمة
وهي السنة **ولكن كونوا ربانيين** ولكن يقول كونوا والرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون
كما يقال رقباني ولحياني وهو الشديد التمسك بدين الله وطاعته وعن محمد بن الحنفية انه قال حين مات ابن عباس اليوم
مات رباني هذه الامة وعن الحسن ربانيين علماء فقهاء وقيل علماء معلمين وكانوا يقولون الشارع الرباني العالم
العامل المعلم **بما كنتم** بسبب كونكم دارسين للعلم اوجب ان تكون الربانية التي هي قوة التمسك بطاعة الله
مسببة عن العلم والدراسة وكفى به دليلا على خيبة سعي من جهد نفسه وكد روحه في جمع العلم ثم لم يجعله ذريعة الى العمل
فكان مثله مثل من غرس شجرة حسناء تونقه بمنظرها ولا تنفعه بثمرها وقرئ تعلمون من التعليم وتعلمون من التعلم
تدرسون تقرؤون وقرئ تدرسون من التدريس وتدرسون على ان درس بمعنى درس كاكرم وكرم وانزل ونزل
وتدرسون من التدريس ويجوز ان يكون معناه ومعنى تدرسون بالتخفيف تدرسونه على الناس كقوله لتقراه على
الناس فيكون معناهما معنى تدرسون من التدريس وفيه دليل على ان من علم ودرس العلم ولم يعمل به فليس من الله
في شيء وان السبب بينه وبين ربه منقطع حيث لم يثبت النسبة اليه الا للمتمسكين بطاعته وقرئ **ولا يامركم**
بالنصب عطفا على ثم يقول وفيه وجهان احدهما ان تجعل لا مزيدة لتاكيد معنى النفي في قوله ما كان لبشر والمعنى ما كان لبشر
ان يستنبئه الله وينصبه للدعاء الى اختصاص الله بالعبادة وترك الانداد ثم يامر الناس بان يكونوا عبادا له ويامركم **ان
تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا** كما تقول ما كان لزيد ان اكرمه ثم يهينني ويستخف بي والثاني ان تجعل لا غير مزيدة
والمعنى ان رسول الله عليه السلام كان ينهى قريشا عن عبادة الملائكة واليهود والنصارى عن عبادة عزير والمسيح
فلما قالوا له انتخذك ربا قيل لهم ما كان لبشر ان يستنبئه الله ثم يامر الناس بعبادته وينهاكم عن عبادة الملائكة
والانبياء والقراءة بالرفع على ابتداء الكلام اظهر وينصرها قراءة عبد الله ولن يامركم والضمير في ولا يامركم ويامركم للبشر
وقيل لله والهمزة في **ايامركم** للانكار **بعد اذ انتم مسلمون** دليل ان المخاطبين كانوا مسلمين وهم الذين استاذنوه ان
يسجدوا له **ميثاق النبيين** فيه غير وجه احدها ان يكون على ظاهره من اخذ الميثاق على النبيين بذلك والثاني ان يضيف
الميثاق الى النبيين اضافة الى الموثق عليه كما تقول ميثاق الله وعهد الله كانه قيل واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه
الانبياء على اممهم والثالث ان يراد ميثاق اولاد النبيين وهم بنو اسرائيل على حذف المضاف والرابع ان يراد
اهل الكتاب وان يرد على زعمهم تهكما بهم لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل الكتاب ومنا كان النبيون
ويدل عليه قراءة ابي وابن مسعود واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب واللام في **لما اتيتكم** لام التوطئة
لان اخذ الميثاق في معنى الاستحلاف وفي لتؤمنن لام جواب القسم وما يحتمل ان تكون المتضمنة لمعنى الشرط ولتؤمنن
ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا وان تكون موصولة بمعنى للذي اتيتكموه لتؤمنن به وقرئ لما اتيتكم مصدرية
والفعلان معها ومعناه لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب والحكمة ثم لمجيء رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به على ان ما مصدرية
والفعلان معها اعني اتيناكم وجاءكم في معنى المصدرين واللام داخلة للتعليل على معنى اخذ الله ميثاقهم لتؤمنن

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)